الفصل الرابع

الإسلام والغرب وقضايا الحوار

١ الحوار الحضارى واستعادة الثقة بين الإسلام والغرب

٢ زيارة أوباما وتجدد الآمال

٣ الإسلام والغرب .. حوار وتواصل !

٤ الخلفية الفكرية للتصورات السلبية عن الإسلام فى الإعلام الغربى

٥ الحوار بين الأديان

٦ دور زعماء الأديان فى بناء التسامح والاحترام المتبادل

obeikandl.com

obeikandl.com

١ الحوار الحضارى واستعادة الثقة بين الإسلام والغرب(*)

قبل الحديث عن الحوار بين الإسلام والغرب لابد لنا من الإشارة إلى أن هناك خطوة هامة تسبق ذلك كله ، ألا وهى ضرورة استعادة الثقة بين الإسلام والغرب . فالأمر الذى لا شك فيه أن هذه الثقة قد اهتزت ، إن لم تكن قد انهارت ، خلال العقدين الماضيين . ولابد من رأب الصدع واستعادة الثقة المفقودة . فبعد التنظير لصدام الحضارات وحتميته ونهاية التاريخ ، وبعد الحروب التى شنها الغرب على بعض بلاد العالم الإسلامى أصبح هناك شعور غالب لدى الشعوب الإسلامية بأن الغرب لا يريد الخير للمسلمين .

ويتساءل الكثيرون فى الغرب : لماذا يكرهنا المسلمون ؟ والحق أن العالم الإسلامى لا يحمل فى نفسه أى كراهية للشعوب الغربية ، ولكنه يكره ، وبحق ، السياسة الغربية تجاه العالم الإسلامى وقضايا الأمة الإسلامية ، وعلى رأسها بطبيعة الحال قضية شعب فلسطين الذى يعانى كل صنوف الظلم والقهر والاضطهاد منذ أكثر من ستين عاماً . وفضلاً عن ذلك فإن وصم الإسلام بالإرهاب والدموية والعنف أمر ظالم لا يستند إلى مبررات دينية أو تاريخية . ولكن

---

* ألقيت هذه الكلمة فى افتتاح الملتقى العالمى الرابع لخريجى الأزهر بفندق جراند حياة بالقاهرة (٢٨ – ٣٠ يونية ٢٠٠٩م) .

هذا ـ للأسف الشديد ـ هو الخط السائد فى الثقافة الغربية ، وقد عبَّر عنه صراحة منذ أقل من ثلاث سنوات قداسة بابا الفاتيكان .

وإذا كانت هناك جماعة تنتسب إلى المسلمين قامت بعمل إرهابى فى نيويورك منذ ثمانى سنوات راح ضحيته ثلاثة آلاف من الأبرياء فإن هذا عمل إجرامى مرفوض تماماً بكل المقاييس . ولكن ماذا نسمى قتل ثمانية آلاف بوسنى مسلم منذ أربعة عشر عاماً فقط على يد إرهابيين ينتسبون إلى الغرب المتحضر وتحت سمع وبصر القوات الدولية ؟

إننا لا نريد أن ننكأ الجراح . فالعالم الإسلامى يعانى من الإرهاب مثلما يعانى الغرب . ومن المفارقات الغريبة أن يستمع الغرب ويصدق أصوات الجماعات المتطرفة فى العالم الإسلامى ، ويصم آذانه عن الاستماع إلى أصوات مليار ونصف مليار مسلم من المعتدلين الذين يدينون كل أشكال العنف فى كل زمان ومكان ، ويترتب على ذلك أن كل مسلم ـ فى نظر الكثيرين فى الغرب ـ يعد إرهابياً إلى أن تثبت براءته . فهل تساعد مثل هذه المواقف على استعادة الثقة بين الجانبين؟

إن هناك من غير شك العديد من الأسباب التى أدت إلى انعدام الثقة بين الجانبين ، وكل جانب له مبرراته بطبيعة الحال . ولكن الجانب الإسلامى يشعر بمرارة الظلم الذى يتعرض له . ومن أجل ذلك يريد المسلمون أن يروا شيئاً ملموساً يعيد الاطمئنان إلى النفوس .

وقد أحسن الرئيس الأمريكى باراك أوباما صنعاً حين خاطب العالم الإسلامى من القاهرة ـ بلد الأزهر الشريف ـ وأبدى استعداده لفتح صفحة جديدة فى التعامل معه وحل جميع النزاعات عن طريق الحوار . ولا شك أن هذه بداية مشجعة وبادرة تستحق كل التقدير . ولن يرفض المسلمون اليد الممدودة إليهم . وحتى يكون لهذه المبادرة مصداقية فلابد أن تُترجم إلى أفعال . والمسلمون لا يطمعون إلا فى شيء واحد فقط وهو العدل والكيل بمكيال واحد.

إن المسلمين ليست لديهم نوايا سيئة ضد أحد . فدينهم قد علَّمهم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان أن عليهم أن يكونوا عادلين حتى مع أعدائهم كما جاء فى القرآن الكريم : ﴿ **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ [المائدة : ٨] ، كما تعلَّم المسلمون من دينهم أيضاً أن الاختلافات بين الأمم والشعوب لا يجوز أن تكون منطلقاً للنزاع والشقاق ، وإنما يجب أن تكون منطلقاً للتعارف والتآلف والتعاون كما جاء فى القرآن الكريم أيضاً : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

ومن هنا يرفض الإسلام رفضاً قاطعاً ما يسمى بصدام الحضارات . فالحضارات فى جوهرها تشكل التقدم المادى والروحى للإنسانية ، إنها تعنى التسامح وقبول الآخر والانفتاح على كل الثقافات والأديان . وهذا يعنى من جانب آخر أنها تمثل حصون الإنسانية ضد النزاعات العبثية والمدمرة ، ولكنها بالقطع ليست سبباً لها ، لأن هدف الحضارات الحقيقى هو بناء نظام يضمن للإنسانية العدل والأمن والاستقرار .

إن أسباب النزاعات إذن ليست فى اختلاف الحضارات ، كما يزعم المروِّجون لصدام الحضارات . فالصدامات تنشأ أيضاً داخل الحضارة الواحدة مثلما حدث ذلك فى الحربين العالميتين فى النصف الأول من القرن الماضى وراح ضحيتهما أكثر من ستين مليوناً من البشر ، فى حين أن أعداد ضحايا الحروب بين الغرب والإسلام على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان تُعد بالنسبة إلى ذلك بمثابة قطرة فى بحر ، ولا وجه للمقارنة بينها وبين ضحايا الحربين العالميتين .

إن دروس التاريخ تعلمنا أن الحروب لا تحل المشكلات ، بل تؤدى إلى تفاقمها وإلى تدمير لا معنى له . والبديل المعقول هو الحوار الذى يعد اللغة الحضارية الوحيدة التى تليق بالإنسان ، وهو السبيل القويم لحل كل أشكال النزاعات بين الأمم والشعوب .

وعلى الرغم من كل المشكلات التى تعكر صفو العلاقات بين الإسلام والغرب فإننا لسنا مع القطيعة مع الغرب على الإطلاق . لقد أردنا فحسب أن نضع بعض النقاط على الحروف ـ كما يقال ـ دون مجاملات فارغة لاتعنى شيئاً حتى يمكن إعادة بناء الثقة بين الجانبين على أسس سليمة . ونحن مع التقارب مع الغرب ومع الحوار والتعاون فى جميع المجالات من أجل خير هذا العالم الذى نعيش فيه .

إن علينا أن نتجه إلى المستقبل من خلال تأمل الواقع الراهن والاستفادة من دروس الماضى . فمتغيرات العصر المتسارعة وأحداثه

المتلاحقة جعلت من الأمور الملحة ضرورة التعاون لمواجهة الأخطار المحدقة بعالمنا المعاصر . فما يجرى الآن فى مكان ما من العالم ينعكس أثره عاجلاً أو آجلاً فى كل مكان فى العالم تقريباً . وأقرب الأمثلة على ذلك وباء أنفلونزا الخنازير والأزمة المالية والاقتصادية فى العالم . ناهيك عن الآثار المدمرة لتلوث البيئة والإرهاب والجريمة المنظمة . فكلنا فى عالم اليوم فى زورق واحد نتعرض جميعاً لنفس الأخطار التى تهددنا جميعاً . ولن نستطيع البحث عن سبل لحل مشكلاتنا المشتركة إلا إذا كنا على استعداد لأن نتخلى عن الأحكام المسبقة القديمة والحديثة وأن يحترم كل منا الآخر ويحترم ثقافته وخصوصياته الحضارية .

ومن هنا فإن ما تسعى إليه العولمة الحالية لفرض قيم الحضارة الغربية بإيجابياتها وسلبياتها على بقية شعوب الأرض تعد محاولة ضد قيم التعددية الدينية والحضارية . فالأصل هو التنوع الذى هو سنة الحياة . وهذا التنوع يؤدى إلى التفاعل الخلاق الذى يؤدى بدوره إلى الإبداع المستمر والتجديد المتواصل والتقدم فى جميع المجالات .

والتمايز الحضارى لم يكن فى يوم من الأيام يمثل عقبة فى سبيل التفاعل والتواصل بين الحضارات. ومن أجل ذلك لا توجد حضارة إنسانية عريقة نمت وتطورت دون أن تتأثر بغيرها من الحضارات . فالتراث الإنسانى أخْذ وعطاء ، ولا توجد أمة عريقة فى التاريخ إلا وقد أعطت كما أخذت من هذا التراث . ولم تشذ حضارة من الحضارات الكبيرة عن هذه القاعدة .

وليس هناك من شك فى أن المدنية التكنولوجية التى تسود العالم اليوم قد جلبت للعالم كله شبكة واسعة من العلاقات فى شئون الاقتصاد والاتصالات والمعلومات ، ولكن هذه العولمة قد أدت من ناحية أخرى إلى مشكلات خطيرة فى مجالات البيئة والنظم الاجتماعية والثقافية والهوية . وهذه المشكلات ـ وغيرها كثير ـ من شأنها أن تهدد أمن واستقرار البشرية .

ومن أجل ذلك يتحتم أن تعالج هذه القضايا فى إطار حوار دينى وحضارى . ومثل هذا الحوار من شأنه أن يبرز القواسم المشتركة بين الحضارات والأديان ، ومن شأنه أيضاً أن يعمل على التوصل إلى كيفية تحقيق القيم المشتركة فى سياق كل حضارة على حدة . وحتى يمكن التوصل إلى تفاهم مشترك فإن الأمر يتطلب مزيداً من تعرُّف كل جانب على ما لدى الآخر . فالغرب يحتاج إلى مزيد من المعرفة بالإسلام ، والمسلمون أيضاً فى حاجة إلى مزيد من المعرفة بالحضارة الغربية وتاريخها .

وفى ختام كلمتى أود أن أؤكد أن الصراعات بين الغرب والإسلام لم تكن أبداً هى القاعدة . فلا يجوز لنا أن نتجاهل تاريخ العلاقات الثقافية الإيجابية بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية . فهذا التجاهل من شأنه أن يؤدى إلى خلق صورة مغلوطة تماماً عن هذه العلاقات .

والحوار الحضارى بينهما هو الذى يستطيع أن يبرز الصورة الصحيحة للعلاقات الغربية الإسلامية ، وبذلك يمكن القضاء على المفاهيم الخاطئة

والأحكام المسبقة بينهما والتخلص من صورة العدو المتبادلة على كلا الجانبين .

ويضاف إلى مهام الحوار ضرورة نقل المعلومات الصحيحة عن حضارة كل منهما للرأى العام عن طريق التعليم ووسائل الإعلام ، وذلك على مستوى كل مجالات الحياة . ولا يجوز أن يبقى الحوار مجرد حوار بين المثقفين الذين عليهم بطبيعة الحال مسئولية فتح المجال بقدر الإمكان أمام كل فئات المجتمع لهذا الحوار الحضارى ، وبيان مدى الأهمية الحاسمة بالنسبة للمستقبل لمثل هذه الجهود التى تصنع السلام .

وبنبغى ألا يغيب عن الأذهان فى هذا الصدد مستقبل الأجيال القادمة التى لا يجوز أن نتركها أسيرة لحضارة سلبية مشحونة بأعمال العنف العبثية . ومن هنا فإن علينا ـ مسلمين وغربيين ـ أن نفكر كثيراً فى هذه الأجيال التى هى مستقبل عالمنا ، فالأجيال الحالية والأجيال القادمة لم يكن لها ذنب لا فى الصراعات الحالية ولا فى الصراعات السابقة . ومن أجل ذلك فإننا مدينون لها بتهيئة الظروف المناسبة التى تستطيع من خلالها أن تنظر إلى المستقبل مدعومة بالأمل فى غد أفضل .

ولا جدال فى أن حواراً حضارياً بين الإسلام والغرب يركز على القواسم المشتركة ويبنى عليها يعد أيضاً محاولة لخلق نماذج مثالية أمام أجيالنا ، وبذلك يمكن الإسهام فى وقف دوامة العنف العبثى الذى لامعنى له .

ويجب أن يكون واضحاً أن إنقاذ البشرية لن يحدث عن طريق الدفاع الذى لا يتوقف ضد عدو مصطنع على كلا الجانبين ، وإنما بالتأكيد على معنى الإنسانية فى الحضارة عن طريق الحوار العاقل والتفاعل المثمر والتفاهم المشترك ، وبذلك يمكن أن نصنع باستمرار دوائر أوسع للسلام ، ونكسب المزيد من الأصدقاء الذين يكرسون جهودهم من أجل خير وسلام واستقرار هذا العالم الذى هو عالمنا جميعاً .

obeikandl.com

٢ زيارة أوباما وتجدد الآمال(*)

لقد طغت نبرة صدام الحضارات ونهاية التاريخ فى العقد الأخير من القرن الماضى ، وامتدت هذه النبرة العالية إلى العقد الحالى من القرن الجديد . وكان المسلمون هم المقصودون فى المقام الأول بالصدام الحضارى . ولم يقتصر الأمر على التنظير لهذا الصدام والتنبؤ بوقوعه وإنما تحول إلى فعل . فكانت حرب العراق وأفغانستان ترجمة عملية لهذا التوجه .

وحقيقة الأمر أن هذا التوجه لم يكن جديداً تماماً ، وإنما تم نفخ الروح فيه من جديد . ولم يكن العراق يمثل بأى حال من الأحوال خطراً وشيكاً على الغرب وعلى أمريكا بالذات ، كما لم يكن فيه وجود لأى عناصر إرهابية . وفضلاً عن ذلك فإن هناك شواهد جعلت البعض يعتقد أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م تفوق قدرات أى مجموعات إرهابية فى العالم الإسلامى .

وقد أخطأ الغرب فى معالجته لظاهرة الإرهاب ـ التى هى ظاهرة عالمية وليست صناعة إسلامية ـ فاهتم بعلاج الظاهرة من سطحها ولم يهتم ببحث الأسباب الحقيقية التى أدت وتؤدى إلى الإرهاب ، كما أنه خلط بينها وبين كفاح الشعوب المقهورة فى الحصول على حقوقها المشروعة التى تقرها القوانين والمواثيق الدولية .

---

* نشر هذا المقال بمجلة منبر الإسلام بعدد شهر رجب ١٤٣٠هـ (يوليه ٢٠٠٩م) .

وقد كان لذلك كله آثاره السلبية فى توتر العلاقات بين العالم الإسلامى والغرب . ولم يكن من مصلحة الطرفين أن يستمر هذا الوضع الذى لم يكن أيضاً فى مصلحة السلام العالمى .

وفى بداية العام الحالى انبثق من ظلام العلاقات المتوترة بين العالم الإسلامى والغرب ضوء جديد أنعش الآمال مرة أخرى يحمل شعار التغيير متمثلاً فى رئيس جديد لأكبر قوة فى العالم هو باراك أوباما الذى لم يتردد منذ اللحظة الأولى فى الإعلان عن أنه يريد أن يفتح صفحة جديدة مع العالم الإسلامى .

وانسجاماً مع دعوة أوباما للتغيير فى الولايات المتحدة الأمريكية تغيرت أيضاً نبرة صدام الحضارات وحل محلها نبرة حوار الحضارات . وتأكيداً على نية أوباما فى تصحيح علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بالعالم الإسلامى كان خطاب أوباما فى جامعة القاهرة مخاطباً العالم الإسلامى من بلد الأزهر الشريف كعبة العلم الإسلامى بالنسبة للمسلمين فى كل أنحاء العالم .

ولا شك فى أن هذه المؤشرات الجديدة قد أنعشت الآمال مرة أخرى فى إشراق شمس جديدة على العلاقات بين العالمين الإسلامى والغربى . والمسلمون يرحبون من غير شك باليد الممدودة لهم بالسلام ، وعلى استعداد تام للتعاون المخلص والسعى الجاد نحو تصحيح الأوضاع التى تدهورت مع الغرب فى العقدين الماضيين . ويأملون فى رؤية مواقف واضحة جادة فى سبيل حل مشكلة فلسطين التى طال عليها الأمد أكثر من

ستة عقود . فلن ينعم الشرق الأوسط بالسلام والاستقرار دون حل عادل لهذه القضية . ولن ينعم العالم بالتالى بالسلام دون إحلال السلام فى هذه المنطقة من العالم .

ولكن الطريق إلى السلام ليس مفروشاً بالورود والرياحين . فالعقبات كثيرة والمعوقات متعددة ، وذلك فضلاً عن التصلب الإسرائيلى الذى لا يريد أن يعترف بالواقع الجديد أو يقيم وزناً لمواثيق دولية أو حقوق مشروعة . وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد أرادت فى السابق أن تنفرد بمحاولات حل هذه القضية فإن رياح التغيير لابد أن تهب أيضاً على هذه المحاولات لإشراك المجتمع الدولى بقوة وفاعلية فى هذه الجهود لمزيد من الضغط للوصول إلى السلام المنشود .

وإذ نرحب بالدعوة إلى الحوار مع العالم الإسلامى فإننا على اقتناع تام بأن الحوار هو اللغة الحضارية الوحيدة التى تليق بالإنسان صانع الحضارة ، وهو الطريق للتوصل إلى تفاهم مشترك على طريق الاحترام المتبادل لاستعادة بناء الثقة بين الجانبين .

والأمر الذى يجب أن نلفت إليه الأنظار والعقول فى هذا الصدد أن الحوار كان هو الطريق الذى سلكه الإسلام ودعا إليه منذ اللحظة الأولى . ويتجلى ذلك بوضوح تام من الحقائق التالية :

١ ـ أشار القرآن الكريم إلى أن اختلاف الأمم والشعوب لا يجوز أن يكون منطلقاً للنزاع والشقاق وإنما يجب أن يكون منطلقاً للتعارف ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا

﴿ وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات : ١٣] . والتعارف هو الخطوة الأولى نحو التفاهم والتآلف والتعاون ، وهذا كله لا يتم إلا بالحوار .

٢ ـ أول من أجرى حواراً بين الأديان هو النبى عليه الصلاة والسلام فى مسجده بالمدينة المنورة مع وفد نصارى نجران الذى كان مكوناً من خمسة عشر فرداً بقيادة أسقفهم أبى الحارث . وقد جرى الحوار فى جو من الود والتسامح .

٣ ـ اعترف الإسلام منذ اللحظة الأولى بالتعددية الدينية والثقافية . وتم النص على ذلك فى صحيفة المدينة التى أصدرها النبى عليه الصلاة والسلام بعد هجرته إلى المدينة المنورة .

٤ ـ تطبيقاً لما جاء فى هذه الوثيقة التاريخية لم يحاول المسلمون إجبار أحد من سكان البلاد التى فتحها المسلمون على اعتناق الإسلام . ومن الشواهد على ذلك أن المسلمين فى مصر ـ على سبيل المثال ـ ظلوا بعد الفتح أقلية مدة قرنين من الزمان .

ومن ذلك يتبين أن المسلمين ـ وفقاً لتعاليم دينهم ـ دعاة حوار بين الأديان والحضارات وليسوا دعاة صدام .

ومن هنا يرحب المسلمون كل الترحيب بكل جهد يُبذل فى هذا السبيل ، ويتجاوبون مع دعوة أوباما من أجل خير وسلام هذا العالم الذى نعيش فيه والذى هو عالمنا جميعاً .

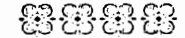

٣ الإسلام و الغرب .. حوار و تواصل(*)

أود فى البداية أن أشير إلى أن الحديث عن الأزهر والغرب الذى هو عنوان هذا المؤتمر المبارك إن شاء الله يعنى بالضرورة الحديث عن الإسلام والغرب من منطلق أن الأزهر هو المؤسسة الدينية العالمية المعبرة عن جوهر الإسلام واعتداله ووسطيته منذ أكثر من ألف عام .

ومن هنا ستكون كلمتى عن الإسلام والغرب . وحقيقة الأمر أن العلاقة بين الإسلام والغرب علاقة قديمة ومتجددة ، وعلى مدى تاريخ الإسلام كله تأرجحت هذه العلاقة بين مد وجزر ، وصعود وهبوط ، وحرب وسِلْم .

ولعل هناك كثيرين لا يعرفون أن البدايات الأولى لهذه العلاقة ترجع إلى زمن قديم قِدَم الإسلام ذاته ، وذلك فى وقت لم يكن قد حدث فيه أى لقاء مباشر بين الجانبين . ولكن البداية كانت على كل حال مبشرة بعلاقات طيبة مستقبلية ، على الأقل من جانب المسلمين .

فقد أبدى المسلمون فى ذلك الوقت قبل الهجرة المدنية تعاطفهم مع الروم المسيحيين عندما نشبت الحرب بينهم وبين الفرس الوثنيين ، وانتهت بانتصار الفرس على الروم . ففرح المشركون فى مكة لأن الفرس كانوا

---

* كلمة ألقيت فى حفل افتتاح المؤتمر العالمى للرابطة العالمية لخريجى الأزهر . القاهرة ، ٣ يناير ٢٠٠٩م .

وثنيين مثلهم ، وحزن المسلمون لأن الروم أهل كتاب مثلهم وهم أقرب إلى دينهم . وتجرأ المشركون على المسلمين وقالوا لهم : " إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ، ونحن أميون (أى لا نؤمن بدين سماوى) . وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم " كما انتصرت فارس على الروم .

فنزلت الآيات الأولى من سورة الروم تبشر المسلمين بأن الغلبة فى المرة القادمة ستكون للروم بعد بضع سنين . وقد جاء هذا النصر الذى فرح به المؤمنون بعد حوالى تسع سنوات . وفى ذلك يقول القرآن الكريم : ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم : ٢-٥] .

ودون الدخول فى تفاصيل ليس هذا مكانها نود أن نشير إلى أن ما يجمع بين الجانبين - الإسلامى والغربى - أكثر مما يفرق بينهما . وقد أكد هذه الحقيقة أيضاً الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا فى محاضرته عام ١٩٩٣ م فى مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية حين قال : **" إن الإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا فى جميع مجالات البحث الإنسانى ، وقد ساهم فى إنشاء أوروبا المعاصرة ، إنه جزء من تراثنا وليس شيئاً منفصلاً عنه "** .

وفى السياق ذاته يقول روبين كوك وزير خارجية بريطانيا الراحل فى محاضرة له فى المركز الإسماعيلى فى لندن عام ١٩٩٨م : **" إن جذور ثقافتنا ليست يونانية أو رومانية الأصل فحسب بل هى إسلامية أيضاً . . وثقافتنا**

مدينة للإسلام بدين يجدر بالغرب ألا ينساه .. فإن الشيء الكثير من أسس حضارتنا يعود الفضل فيه إلى العالم الإسلامى " .

وإذا كان البحر الأبيض المتوسط يفصل بين الشعوب الأوروبية والشعوب العربية الإسلامية التى تعيش على شاطئيه فإنه فى الوقت نفسه كان دائماً حلقة وصل وجسراً للتلاقى بين الجانبين . ومن هنا ظل التفاعل الثقافى قائماً ومتواصلاً على مدى التاريخ رغم ما شاب هذه العلاقات فى فترات مختلفة من حروب وصدامات عسكرية .

ولكن دعاة صدام الحضارات لا يريدون أن يعترفوا بحقائق التاريخ ، بل يريدون إشعالها ناراً لا تنطفيء وحرباً لا تتوقف . ومن أجل ذلك كان الترويج ولا يزال لصورة العدو المتبادلة بين الجانبين . فالإسلام هو العدو الأخضر بعد زوال صورة العدو الأحمر .

ومن هنا سمعنا فى الفترة الأخيرة شعارات تدق طبول الحرب . ومن ذلك على سبيل المثال : الغرب ضد بقية العالم The west against the rest والمقصود فى الحقيقة هم المسلمون على وجه الخصوص ، كما سمعنا التلميح بحرب صليبية ضد الإسلام بوصفها الوسيلة الوحيدة لحل جميع المشكلات . ومرة أخرى يتم العثور على كبش فداء لتحميله كل الآثام . فبالأمس كان استهداف اليهود ، واليوم يتم استهداف المسلمين . وأصبح من يملك القوة يستأثر بالحق ، " ومن ليس معنا فهو ضدنا " . فهل يمكن أن تكون هناك رسالة أكثر وضوحاً من ذلك ؟

إن المنادين بالصدام بين الحضارات والمروِّجين له يعتمدون على اختلاف الثقافات والأديان ، ومن ثم فلا أمل فى التلاقى . فالصدام فى رأيهم آت لا محالة . ولكن الذى يتأمل تاريخ البشرية يتضح له أن اختلاف الشعوب والثقافات والتفاعل الحضارى فيما بينها كان دائماً يمثل دافعاً حاسماً للتطور الإيجابى فى مختلف المجالات .

والقرآن الكريم لم يجعل من اختلاف الشعوب والثقافات منطلقاً للنزاع والشقاق ، بل على العكس من ذلك تماماً . فهذه الاختلافات تُعد من وجهة النظر الإسلامية منطلقاً للتعارف والتآلف والتعاون فى كل ما من شأنه أن يعود بالخير على الجميع . ﴿ **وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

ويضاف إلى ذلك أن الشعوب فى عصرنا الحاضر ، عصر العولمة ، لم تعد كحالها فيما مضى يعيش بعضها بجانب البعض الآخر بل أصبحت إلى حد كبير يعيش بعضها مع البعض الآخر . فإذا كنا نريد العمل على تحقيق تعاون مثمر لتفاعل الثقافات ، فخير لنا ألا ننطلق من أى تعميمات أو تصنيفات للشعوب والثقافات والأجناس ، بل علينا أن ننطلق بالأحرى بادئ ذى بدء من القواسم المشتركة التى تجمعنا ومن الأوضاع المشتركة على وجه الخصوص .

فإذا كان علينا أن نطفيء حريقاً نشب فى أحد البيوت فإننا لا نسأل عن كل من يقيمون فيه ولا ندقق فى التعرف عليهم فرداً فرداً بل نطفيء الحريق بأقصى سرعة ممكنة ، ونعمل على ألا تنتشر النار فى البيوت المجاورة . وهذا هو

موقف الإسلام الذى دعا إلى التضامن بين البشر جميعاً من أجل درء الأخطار التى تهدد العالم الذى نعيش فيه والذى هو عالمنا جميعاً .

وفى هذا الصدد يصور النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ البشرية كلها وقد اجتمعت فى سفينة بعضهم فى أعلاها وبعضهم فى أسفلها . فكان الذين فى أسفلها إذا احتاجوا إلى الماء صعدوا إلى أعلى السفينة . وقد تعبوا من الصعود والهبوط ومضايقة الآخرين . وتفادياً لذلك كله فكروا فى إحداث خرق فى أسفل السفينة يستقون منه حاجتهم من الماء ، الأمر الذى يهدد السفينة وكل من فيها بهلاك محقق .

وفى ذلك يقول النبى ﷺ : **" مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على مَنْ فوقهم ، فقالوا : لو أنَّا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ! فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً . وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً "** [1] .

والأمر الذى لا جدال فيه أن عصرنا قد تميز عن العصور السابقة بإنجازات غير مسبوقة نتيجة للثورة العلمية والتكنولوجية وثورة المعلومات والاتصالات . وهذه حقيقة ماثلة للعيان . ولم تقتصر هذه التطورات بطبيعة الحال على تأمين السلم والأمن للمجتمعات بل امتدت إلى أدوات الحرب . فبينما كانت الحروب فى سابق الأزمان تنشب بين بعض البلدان ، أو فى داخل البلدان ذاتها ، تغير الوضع بعد أن ابتدع عصرنا شيئاً جديداً وهو الحروب العالمية والقنبلة الذرية .

١ـ أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٣١٣) من حديث النعمان بن بشير .

وهذا يعنى أن قضية الحرب والسلام ـ أى الهدم والبناء ـ قد أصبحت بدرجات متفاوتة تمس العالم كله . وهذا يعنى أن التضامن العالمى أصبح ضرورة مُلِحَّة ، وأصبحت له أولوية على كل أشكال التضامن الأخرى ذات التكتلات أو العصبيات الضيقة . ولن نستطيع البحث عن سبيل لحل مشكلاتنا المشتركة إلا إذا كنا فى العالمين الإسلامى والغربى على استعداد لأن نتخلى عن الأحكام المسبقة القديمة ، وأن يحترم كل منا الآخر ويحترم ثقافته وموروثاته الحضارية .

ومن المؤكد أن احترام ثقافات الشعوب ومعتقداتها ضرورى لفتح آفاق التعاون بين البشر . فمن حق كل أمة أن تكون لها ثقافتها ومنظومتها الاجتماعية والسياسية والقيمية الخاصة بها . والحوار المستمر بين الثقافات هو الذى يبقى عليها ويضمن تجديدها المتواصل ويرسخ قيم التسامح والاحترام المتبادل والتعددية الثقافية .

إن ما نسعى إليه جميعاً هو فى نهاية المطاف نفس الشيء ، أى حياة كريمة باعتبارنا أعضاء فى مجتمع إنسانى . وهذا يتطلب أن نسعى فى مجتمعنا المتعولم أولاً وقبل كل شيء إلى السلام فى عالمنا وإلى ما يرتبط به أو ما هو شرط له ، ألا وهو احترام حقوق جميع البشر أفراداً وشعوباً . ولكن الأمر المؤسف أنه غالباً ما يتم الانحراف عن ذلك والانزلاق إلى حروب حمقاء لا معنى لها .

إننا نعتقد أن الإرادة الطيبة اللازمة للتعاون من أجل تحقيق هذا الهدف الإنسانى النبيل قائمة لدى العقلاء من الجانبين بصرف النظر عن المجموعات الراديكالية هنا وهناك . والمسئولية العالمية اليوم بالنسبة لنا لم

تعد مجرد وصية من وصايا الأديان قد نتبعها وقد لا نتبعها ، فالقضية الآن قد أصبحت مصيرية ، أى قضية حياة أو موت .

والأمر الذى يجب التأكيد عليه أن اختلاف الشعوب والثقافات والديانات ـ كما سبق أن أشرنا ـ لا يمثل عقبة فى سبيل التوصل إلى تفاهم مشترك وتعاون بين البشر ، وإنما هو بالأحرى يمثل إثراء للتجربة البشرية ، وفهم كل منا للآخر يزيد من فهمنا لذواتنا . فنحن فى حاجة إلى الآخر ، كما أن الآخر فى حاجة إلينا . والآخر لا يمثل جحيماً بالنسبة لنا ـ كما كان يقول سارتر ـ وإنما يمثل فى حقيقة الأمر فرصة ثرية تؤكد لدينا قيم التسامح وقبول الآخر والاحترام المتبادل ، وبالتالى تكون هناك فرصة لحل المشكلات المشتركة .

وهذا كله يتوقف على إعادة بناء الثقة بين الجانبين لإجراء حوار مثمر بينهما . ولا يجوز أن ينظر الغرب إلى الإسلام أو العالم الإسلامى على أنه مصدر الإرهاب أو بؤرة تفريخ للإرهاب . فهذه النظرة لا تعد فقط نظرة سطحية ، بل هى خاطئة تماماً ، وتؤدى إلى تدمير العلاقة بين الجانبين . فالإرهاب ليس من طبيعة الإسلام .

والواقع يبين لنا أنه ظاهرة عالمية . والإرهابيون موجودون فى الغرب وفى الشرق على السواء ولكنهم قلة قليلة. ومن هنا فإنه لابد من أن تتعاون الكثرة الغالبة على الجانبين إلى التوصل إلى كلمة سواء .

ولكن الأمر الذى يقلق العالم الإسلامى حقاً ويثير الشكوك فى نفسه هو لجوء الغرب إلى معايير مزدوجة ، والكيل بمكيالين فى تعامله مع قضايا

العالم الإسلامى وبخاصة فى الشرق الأوسط . وذلك فضلاً عن إشعال حروب فى المنطقة بحجة نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان ، فى حين أن هذه القيم ينبغى أن تنبع من الداخل ولا يمكن فرضها بالعنف . فالعنف لايؤدى إلا إلى عنف مضاد . والعنف المضاد قد ينقلب إلى إرهاب . وفى خضم هذا الصخب المعكِّر لصفو العلاقات بين الجانبين الغربى والإسلامى نجد هناك أصواتاً عاقلة على كلا الجانبين وهى أصوات جديرة بالاستماع إليها والتجاوب معها .

ومن بين أمثلة عديدة فى هذا الصدد نشير إلى أحد أساتذة اللاهوت المشهورين ليس فقط فى ألمانيا بل فى العالم ، والذى أصدر ثلاثة مجلدات كبيرة درس فيها اليهودية والمسيحية والإسلام ، هذا الأستاذ هو هانز كونج (Hans Kueng) الذى يقول فى محاضرة له منذ سنوات قليلة فى مدينة فرايبورج الألمانية : **"لاتوجد دولة إسلامية حتى الآن قامت بالاعتداء على دولة غربية ، ولكن العكس هو الصحيح . وهذا من وجهة النظر الإسلامية يظهر الغرب فى صورة المعتدى"** .

كما يقول عالم الإسلاميات المعروف فريتس إشتيبات فى كتاب له بعنوان : " الإسلام شريكاً " : **"إن الإسلام لا يشكل تهديداً للعالم . ولكن الكثيرين من المسلمين يشعرون بأنهم مهددون فى عالمنا ، ومن الممكن والحال كذلك أن تنبثق عن هذا الشعور تصرفات رعناء وعدوانية . وإذا كانت الأصولية فى العالم الإسلامى يُنظر إليها على أنها رد فعل حيال**

موقف تاريخى فلا ينبغى لنا أن نتوقع أنها ستفقد شيئاً من أهميتها قبل أن يتغير هذا الموقف من أساسه" .

لقد كان الإسلام شريكاً مهماً للغرب فى تاريخ تطوره ، وتلك حقيقة لا يجوز تجاهلها ، فقد كان العالم الإسلامى هو الذى أعطى الدفعة الحاسمة لنشأة الحضارة الغربية الحديثة ، عندما كانت حضارة المسلمين فى قمة ازدهارها فى الأندلس ، وعن طريق المؤثرات الحضارية الإسلامية استطاعت أوروبا أن تتخلص فى العصر الوسيط من جمودها وتخلفها . ومن المعروف أن أوروبا لم تعرف الفلسفة اليونانية فى باديء الأمر إلا عن طريق المؤلفات العربية ، ولم تبدأ التعرف عليها من مصادرها اليونانية إلا فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر .

ومن الأمور المصيرية التى يجب أن نلفت النظر إليها ، والتى يؤكد عليها عدد من عقلاء الغرب أيضاً ، أن أمن أوروبا لم يعد من الممكن تصوره بدون استقرار الأوضاع واستتباب الأمن والسلام فى الشرق الأوسط . والسلام لا يمكن فرضه بالعنف ، وإنما يمكن التوصل إليه عن طريق الحوار ومن خلال الشراكة والتعاون بين الجانبين من أجل خيرهما معاً .

وفى هذا الصدد أود فى ختام كلمتى أن أقتبس كلمات حكيمة للأستاذ هانز كونج الذى سبقت الإشارة إليه ، وذلك فى قوله :

" لن يكون هناك سلام بين الأمم إلا إذا كان هناك سلام بين الأديان ، ولن يكون هناك سلام بين الأديان إلا إذا كان هناك حوار بين هذه الأديان ،

ولن يستقيم حوار بين الأديان إلا إذا كان هناك فهم حقيقى لأصول هذه الأديان " [1] .

ولا يجوز أن يغيب عن الأذهان فى رحلة البحث عن السلام عن طريق الحوار والتواصل أن يضع كل من الجانبين فى اعتباره مصلحة الأجيال الجديدة التى هى مستقبلنا جميعاً . ونظراً لأنه لم يكن لهذه الأجيال أى ذنب فيما حدث فى الماضى من آثام وحروب وتدمير فإنهم يستحقون منا أن نتيح لهم فرصة النجاة والبقاء ، وبالتالى نتيح الفرصة للسلام والاستقرار ، وبذلك نصنع دوائر سلام تتزايد مساحتها باستمرار .

١ـ من مقدمة كتابه الصادر بالإنجليزية عن الجامعة الأمريكية بالقاهرة (٢٠٠٧) بعنوان: "الإسلام : الماضى والحاضر والمستقبل" .

٤ الخلفية الفكرية للتصورات السلبية عن الإسلام في الإعلام الغربى (*)

الصورة السلبية للإسلام فى الإعلام الغربى والإساءات المتكررة لنبى الإسلام من جانب أفراد أو جماعات فى أوروبا ليست وليدة اليوم ، وإن كانت قد اكتسبت فى العصر الحاضر زخماً كبيراً ساعدها على الانتشار على نحو لا نظير له فى التاريخ .

والأمر الجدير بالذكر أنه عندما حدث أول لقاء روحى عن بعد بين الإسلام والغرب فى السنوات الأولى للإسلام كان الإسلام منفتحاً وعلى استعداد للتعاون مع الغرب المسيحى من منطلق الاشتراك فى الإيمان بالوحى الإلهى .

وهذا ما عبَّرت عنه سورة الروم من تعاطف المسلمين مع الروم المسيحيين الذين انهزموا فى حربهم مع الفرس الوثنيين آنذاك ، ووعد الله للمؤمنين بانتصار الروم فى المرة القادمة بعد بضع سنين ، وقد حدث هذا النصر بعد حوالى تسع سنوات ـ كما تنبأ بذلك القرآن الكريم ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾ [الروم : ١ـ٥] .

---

* محاضرة ألقيت فى افتتاح الندوة المصرية التونسية المشتركة التى عقدت فى تونس تحت عنوان : "الإعلام الدينى وتحديات العصر" فى ١٦ – ١٧ فبراير ٢٠٠٩م .

ولكن هذا التعاطف لم يقابله تعاطف مماثل أو تجاوب روحى من الجانب الآخر ، وحدث ما حدث من حروب وصدامات بين المسلمين والأوروبيين على مدى قرون عديدة . وعلى الرغم من ذلك لم تنقطع العلاقات الثقافية بين الجانبين ، واستفادت أوروبا كثيراً من إنجازات الحضارة الإسلامية عن طريق الأندلس وجزيرة صقلية ، ولا يزال التواصل الثقافى قائماً حتى يومنا هذا بين الإسلام والغرب .

والسؤال الذى يتبادر هنا إلى الذهن هو : إذا كان الأوروبيون قد استفادوا من إنجازات الحضارة الإسلامية وقاموا فى العصور الوسطى بترجمة كل ما وصل إلى أيديهم من علوم المسلمين فى مختلف المجالات ، فلماذا إذن ظهر فى ذلك الزمان هذا التيار المعادى للإسلام فى أوروبا والذى لا يزال يؤثر بطريقة أو بأخرى فى توجهات الغرب إزاء الإسلام والمسلمين ، كما يظهر أيضاً بوضوح فى الإعلام الغربى ؟ وباختصار شديد يمكن صياغة السؤال على النحو التالى : ما هى الخلفية الفكرية للصورة السلبية للإسلام فى الغرب قديماً وحديثاً ؟

ويمكن القول إن الإجابة عن ذلك تتمثل فى رأينا فى عدة عناصر أهمها ما يأتى :

أ ـ التراث اللاهوتى الأوروبى فى العصور الوسطى .

ب ـ التيار السلبى فى الحركة الاستشراقية الغربية .

ج ـ المناهج الدراسية فى المدارس الغربية .

وفيما يلى نود إلقاء بعض الضوء على هذه العناصر الثلاثة :

أولاً : التراث اللاهوتى :

على الرغم من أن أوروبا منذ العصور الوسطى قد رحبت كل الترحيب بإنجازات المسلمين فى العلوم والتقدم الحضارى ـ كما أشرنا ـ فإنها بتأثير من التيار اللاهوتى المتطرف قد أغلقت العقول والأعين عن الاستفادة من تعاليم الإسلام والتعرف عليها على نحو موضوعى ، وليس هذا فقط وإنما وقفت من الإسلام موقفاً معادياً .

وقد نشط اللاهوتيون الأوروبيون فى ذلك الوقت المبكر ضد الإسلام ، وراحوا ينشرون الافتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام ، وزعموا فيما زعموا أن الإسلام قوة خبيثة شريرة ، وأن محمداً ليس إلا صنماً أو إله قبيلة أو شيطاناً[1] .

وقد تجاوزت الإساءات والإهانات للإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام حينذاك كل الحدود ، على نحو تُعَد فيه الإساءات الأوروبية المعاصرة أقل بكثير جداً مما تم توجيهه من إساءات بالغة للإسلام فى ذلك الزمان . ولكن نظراً لأن وسائل النشر حينذاك كانت محدودة للغاية فقد ظلت هذه الإساءات محدودة الانتشار .

وقد راجت فى العصور الوسطى فى أوروبا حكايات وأساطير فى وصف الإسلام مغرقة فى الخيال وفى الضلال اخترعها الخيال المريض لكتَّاب ذلك العصر مثل أنشودة رولاند الشهيرة The Song of Roland

---

١ـ انظر كتابنا : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى . ص ٢٤ وما بعدها ، دارالشروق ، القاهرة ٢٠٠٨م .

وغيرها من آثار أدبية تصف المسلمين بأنهم عباد أصنام ، أو أنهم يعبدون آلهة ثلاثة هى تيرفاجان Tervagan ومحمد وأبوللو ، أو أن محمداً كان كاردينالاً مسيحياً وفشل فى الفوز بمنصب بابا الفاتيكان فاخترع لنفسه ديناً جديداً ، أو أن الإسلام دين شهوانى لا مكان فيه للروحانيات ، أو أنه انتشر بالسيف . وراجت فى ذلك الزمان أيضاً أسطورة عن وفاة محمد تفترى عليه أنه كان فى إحدى الليالى خارج منزله وقد أسرف فى الشراب على نحو جعله يضل الطريق إلى بيته فنام فوق تل من القمامة فجاءت الخنازير وأكلته [1] .

وقد اعترف أشهر المؤلفين فى ذلك الزمان عن ترويج هذه الأساطير وهو جيبير النوجنتى Guibert de Nogent بأنه لا يعتمد فى كتاباته عن الإسلام على أية مصادر مكتوبة ، وأشار فقط إلى آراء العامة ، وأنه لا يوجد لديه أية وسيلة للتمييز بين الخطأ والصواب . ثم قال مبرراً كتاباته غير العلمية عن الإسلام ونبيه : " لا جناح على المرء إذا ذكر بالسوء من يفوق خبثُه كل سوء يمكن أن يتصوره المرء"[2] .

لقد كانت تلك مجرد أمثلة لما وُجِّه للإسلام من إساءات فى العصور الوسطى فى أوروبا بتأثيرٍ من اللاهوتيين المتعصبين . ولا شك فى أن العقلية الأوروبية بصفة عامة لا تزال حتى اليوم تفكر بشكل أو بآخر على

١ـ المرجع السابق وفيه الإشارة إلى بعض المراجع الأخرى .

٢ـ ساذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام فى القرون الوسطى ، ترجمة د. على فهمى خشيم ، د.صلاح الدين حسنى ، ص ١٥ ، ١٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ـ طرابلس ليبيا ١٩٧٥م (راجع أيضاً كتابنا عن الاستشراق ص٢٥).

هذا النحو وتسير على نفس النهج ، وأن الاتهامات السابقة للإسلام لاتزال تتردد فى العصر الحاضر بين الحين والآخر كما كانت فى السابق ، وإن كانت تظهر فى ثوب جديد يتلاءم مع ما جدَّ فى عالم اليوم من تطورات وما طرأ عليه من متغيرات وثورات فى عالم الاتصالات والمعلومات .

وقد اعتمد بابا الفاتيكان الحالى على هذا التراث القديم المعادى للإسلام فى محاضرته التى ألقاها فى جامعة ريجنزبورج بألمانيا فى الثانى عشر من سبتمبر ٢٠٠٦م [١] ، الأمر الذى يبرهن على أن هذا التراث المتعصب لا يزال له تأثيره فى العقلية الغربية وعلى أعلى المستويات .

ثانياً : الحركة الاستشراقية :

وتواصلاً مع التراث اللاهوتى نشأ علم الاستشراق فى أوروبا مُركِّزاً اهتمامه على دراسة الشرق الإسلامى فى لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام . ويمكن القول بأن الحركة الاستشراقية فى أوروبا قد وُلِدت من رحم اللاهوت الأوروبى فى العصور الوسطى ، وترسمت خطاه ، وظلت متأثرة بتوجهاته عدة قرون . فقد كان الدافع الدينى هو السبب الأول فى نشأة الاستشراق .

وقد كان للجهود التنصيرية لكل من روجر بيكون وريموند لوللِ أثرها فى مصادقة مجمع فيينا الكنسى عام ١٣١٢ م بالموافقة على تعليم اللغة العربية فى خمس جامعات أوروبية هى : جامعات باريس وأكسفورد

١ـ انظر كتابنا : حوار موضوعى مع قداسة بابا الفاتيكان ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٦م (باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية) .

وبولونيا وسلمنكا ، بالإضافة إلى جامعة المدينة البابوية . وقد كان الهدف من كل هذه الجهود هو التنصير وإقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى النصرانية[1] .

كما نص قرار إنشاء كرسى اللغة العربية فى جامعة كامبردج عام ١٦٣٦م صراحة على خدمة هدفين : أحدهما تجارى والآخر تنصيرى . وقد أضيف فيما بعد إلى هذين الهدفين هدف ثالث هو خدمة الاستعمار الأوروبى فى العالم الإسلامى . ويعترف المستشرقون المعتدلون بذلك[2] .

وقام المستشرقون بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية أولاً عام ١١٤٣م وبعد ذلك إلى لغات أخرى . ولم يكن القصد بطبيعة الحال هو تعريف الأوروبيين بالإسلام وإنما للتعرف على أفضل السبل لنقض القرآن ، فقد كانت هذه الترجمات مغرضة ، تنطلق أساساً من مقولة ترسخت فى الأذهان تزعم أن محمداً هو مؤلف القرآن ، وأنه اعتمد فى كتابته على مصادر يهودية ومسيحية .

وقد كان الهدف الدينى للاستشراق يسير منذ البداية فى اتجاهات ثلاثة متوازية تعمل معاً جنباً إلى جنب وتتمثل هذه الاتجاهات فيما يأتى :

١ ـ محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه وإبرازها ، والزعم بأنه دين مأخوذ من المسيحية واليهودية ، والانتقاص من قيمه والحط من قدر نبيه ... إلخ .

١ـ انظر كتابنا عن الاستشراق ، ص ٣٠ .

٢ـ المرجع السابق ، ص٤٥ .

٢ ـ حماية المسيحيين من خطره بحجب حقائقه عنهم وإطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين .

٣ ـ التبشير بالمسيحية فى أوساط المسلمين بهدف تنصيرهم[١] .

ومن ذلك يتضح أن الاستشراق كان يسير على خطى اللاهوت فى أهدافه وتوجهاته . فقد كان هناك تماثل فى الأهداف بين المبشر الإنجيلى والمستشرق الأكاديمى .

وإحقاقاً للحق ووضعاً للأمور فى نصابها نقرر أن ذلك ليس حكماً عاماً على جميع المستشرقين . فهناك فريق من علماء الاستشراق قد حاول جاهداً الالتزام بالحيدة والموضوعية ، وأنكر على كثير من زملائه نزواتهم التى انحرفت بهم عن النزاهة العلمية . وهناك من أنصف فى جانب وتحامل فى جانب آخر .

وفى مقدمة المستشرقين الذين رفضوا أن ينساقوا وراء هذا اللون من الغوغائية الفكرية والتزييف العلمى لحقائق الإسلام نخص بالذكر الأستاذ " هادريان ريلاند Hadrian Reland " الذى كان أستاذاً بجامعة أوترشت بهولندا والذى أصدر عام ١٧٠٥م كتاباً بعنوان (الديانة المحمدية) من جزئين باللغة اللاتينية التى كانت لغة الثقافة فى ذلك الزمان . وقد عرض فى الجزء الأول العقيدة الإسلامية معتمداً على مصادر بالعربية واللاتينية ، وفى الجزء الثانى قام بتصحيح الآراء الغربية التى كانت سائدة حينذاك عن تعاليم الإسلام .

١ـ المرجع السابق ، ص ٦٨ .

وقد دعا " ريلاند " قومه إلى الإنصاف فى نظرتهم إلى الإسلام ، وذهب إلى أنه بدلاً من أن نَسُب الإسلام والمسلمين علينا أولاً أن نتعلم العربية وندرس الإسلام كما يدرسه المسلمون فى مساجدهم ومدارسهم حتى نتعرف على الوجه الحقيقى للإسلام ، وحينئذ سيتضح لنا أن المسلمين ليسوا مجانين كما نظن . فقد أعطى الله العقل لكل الناس وسيتضح لنا أيضاً أن هذا الدين ليس ديناً ماجناً أو ديناً سخيفاً كما يتخيل كثير من المسيحيين .

وذراً للرماد فى العيون ، وحتى لا يُتهم " ريلاند " بأنه متعاطف مع الإسلام قال إن هذه الدراسة للإسلام سوف تساعدنا على مواجهة الإسلام ونقضه على نحو أفضل من ذى قبل . ولكن ذلك لم يمنع الكنيسة الكاثوليكية حينذاك من إدراج الكتاب فور صدوره فى قائمة الكتب المحرم تداولها ، وتم بالفعل حظر تداول الكتاب حتى لا يطلع الناس على حقيقة الإسلام[1] .

وعلى الرغم من أن الاستشراق قد بدأ يتخلص من سيطرة اللاهوت المسيحى اعتباراً من منتصف القرن التاسع عشر ـ كما يقول بعض المستشرقين ـ ويتجه إلى دراسة الإسلام وحضارته دراسة علمية متحررة من التعصب الدينى فإنه لا يزال هناك مستشرقون حتى يومنا هذا لم يستطيعوا أن يتحرروا تماماً من التأثير اللاهوتى . وأعتقد أن هذا سيظل مصاحباً لبحوث الكثيرين من المستشرقين بوعى أو بدون وعى .

١ـ المرجع السابق ، ص ٣٤ وما بعدها .

ويعترف بعض المستشرقين ومنهم مونتجمرى وات وبرنارلويس ونورمان دانييل بأن آثار التعصب الدينى الغربى لا تزال ظاهرة فى مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين من المستشرقين .

ولكن المستشرق الألمانى المعروف رودى باريت Rudi Paret ـ صاحب أشهر ترجمة ألمانية للقرآن الكريم فى النصف الثانى من القرن العشرين ـ ينفى أن تكون لدى المستشرقين نوايا جانبية ويقول : " إننا فى دراستنا لانسعى إلى نوايا جانبية غير صافية ، وإنما نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة "[1] .

ولا شك فى أن الكثيرين من الإعلاميين فى الغرب حين يتحدثون عن الإسلام يرجعون إلى كتابات المستشرقين فى هذا الصدد ويتبنون بالتالى وجهات نظرهم بوصفهم خبراء متخصصين تحظى بحوثهم بالمصداقية . ومن خلال تجربتى الشخصية مع البعض منهم نجد أنهم يفضلون بصفة خاصة الدراسات النقدية عن الإسلام والتى تتحدث عما يسمى بالمآخذ أو السلبيات . وهذا يوضح لنا ما نلاحظه فى الإعلام الغربى من خط سائد لا يرى فى الإسلام إلا الجانب الذى يريدون رؤيته والذى يتفق مع ما ترسخ فى أذهانهم من معلومات خاطئة عن الإسلام .

ويعترف المستشرق المعروف مكسيم رودنسون فى محاضرة له ألقاها فى القاهرة ونشرتها صحيفة الأهرام فى ٢٩ / ١٢ / ١٩٦٩م " بأن المستشرقين لم يروا فى الشرق إلا ما كانوا يريدون رؤيته ، فاهتموا كثيراً بالأشياء الصغيرة

١ـ المرجع السابق ، ص ٤٠ ، ٦٨ ، ٦٩ .

والغربية ، ولم يكونوا يريدون أن يتطور الشرق ليبلغ المرحلة التى بلغتها أوروبا ، ومن ثم كانوا يكرهون النهضة فيه " .

ثالثاً : الكتب المدرسية فى المدارس الغربية :

وترجع المعلومات الخاطئة عن الإسلام فى أذهان الغربيين ـ بالإضافة إلى ما سبق ـ إلى ما تعلموه فى طفولتهم من خلال الكتب المدرسية التى تشتمل على الكثير من المعلومات المضللة عن الإسلام ونبيه وتعاليمه ، وهذا من شأنه أن يرسخ فى أذهان الأجيال المتعاقبة معلومات مغلوطة عن الإسلام والمسلمين ، ويصبح من الصعب القضاء عليها نهائياً . ومن هنا لاتعجب من إصرار القوم بين حين وآخر على الإساءة للإسلام والمسلمين .

وقد قام أحد العلماء المسلمين فى ألمانيا وهو الأستاذ " فلاتورى " الذى عمل أستاذاً للدراسات الإسلامية فى جامعة كولون بألمانيا ، ثم بعد ذلك فى جامعة هامبورج ـ بوضع برنامج بحثى طموح لدراسة المعلومات الواردة عن الإسلام فى الكتب المدرسية والمناهج التعليمية فى البلاد الأوروبية ، وبدأ فى تطبيق هذا البرنامج فى ألمانيا ، وقاد فريقاً من الباحثين معظمهم من الأساتذة المسيحيين حتى يكون هناك شهود من أهلها .

وعلى مدى ما يقرب من خمس سنوات أو يزيد قام هذا الفريق بفحص كم كبير من الكتب المدرسية . وقد أظهرت هذه الدراسة ـ التى نُشرت فى ثمانية أجزاء ـ أن صورة الإسلام فى هذه الكتب المدرسية صورة سلبية تماماً . وقد نوقشت هذه الدراسة فى بعض وسائل الإعلام هناك وكان لها بعض

التأثير فى لفت الأنظار إلى ضرورة إعادة النظر فى بعض المعلومات الواردة فى تلك الكتب المدرسية .

وقد أراد الأستاذ فلاتورى تنفيذ برنامجه فى عدد من البلاد الأوروبية الأخرى ، وشكّل بالفعل فرقاً بحثية فى حوالى عشر بلاد أوروبية . ولكن القدر لم يمهله لتنفيذ هذا البرنامج الطموح فوافته المنية عام ١٩٩٧م . والواقع أن البلاد الأوروبية المختلفة متشابهة فى نظرتها إلى الإسلام . ومن هنا لانتوقع أن تكون صورة الإسلام فى المناهج التعليمية والكتب المدرسية لديها أفضل حالاً من ألمانيا .

توجهات الإعلام الغربى ودور الإعلام الإسلامى :

وإذا كنا قد أشرنا باختصار شديد إلى هذه المنابع الفكرية التى يستقى منها الإعلام الغربى معلوماته عن الإسلام والمسلمين فإننا لابد أن نشير إلى عامل آخر بالغ الأهمية له تأثيره فى توجهات الإعلام الغربى . ويتمثل هذا العامل فى الوقوع تحت تأثير قوى الضغط الصهيونية التى تلوّح دائماً بجريمة معاداة السامية التى يعاقب عليها القانون فى البلاد الأوروبية بعقوبة السجن .

وكل هذه العوامل مجتمعة كان لها تأثيرها فى توجهات الإعلام الغربى فى اتهام الإسلام بالإرهاب والعنف . وقد فشل الإعلام الدينى وغير الدينى فى عالمنا العربى الإسلامى فى التصدى لهذه الاتهامات الظالمة التى انتشرت فى الغرب على نحو يكاد يجعلها من المسلّمات فى أذهان الغربيين.

وحقيقة الأمر أن تهمة الإرهاب مردودة على أصحابها . فالإرهاب لم يكن فى يوم من الأيام صناعة إسلامية ، وإنما هو بالأحرى صناعة غربية تم تصديرها إلى بقية دول العالم . ويكفى للتدليل على ذلك أن نطرح بعض الأسئلة التى تحمل فى باطنها الإجابة . ولن نذهب فى ذلك إلى الماضى البعيد عندما قتل الصليبيون منذ حوالى ألف عام كل سكان مدينة القدس من المسلمين عندما استولوا عليها عام ١٠٩٩م وكان عددهم سبعين ألفاً ، وإنما نتجه إلى الماضى القريب جداً ونسأل :

- من الذى أشعل نار حربين عالميتين فى القرن العشرين راح ضحيتهما أكثر من ستين مليوناً من البشر حسب تقديرات الغرب ؟
- ومن الذى كان وراء ظهور الجماعات الإرهابية فى أوروبا فى النصف الثانى من القرن العشرين ؟
- ومن الذى قتل ثمانية آلاف من أبناء البوسنة المسلمين عام ١٩٩٥م تحت سمع وبصر قوات أوروبية تابعة للأمم المتحدة ؟
- ومن الذى قتل مئات الآلاف من أبناء العراق وأفغانستان فى حروب غير مبررة فى السنوات القليلة الماضية ؟
- ومن الذى قتل مئات الأطفال والنساء والشيوخ فى قطاع غزة فى بداية عام ٢٠٠٩م ؟

أليس ذلك هو الإرهاب بعينه ، والعنف فى أبشع صوره ؟

إننى لا ألوم الإعلام الغربى ، وإنما ألوم الإعلام فى عالمنا العربى والإسلامى ، والإعلام الدينى بصفة خاصة . فليست هناك استراتيجية لهذا

الإعلام تستطيع أن تقف فى وجه هذا التحدى الكبير وغيره من تحديات فى عصر ثورة المعلومات والاتصالات والسماوات المفتوحة .

ومن المحزن أن عشرات الفضائيات العربية المتخصصة فى القضايا الدينية مشغولة بالقضايا الهامشية والتدين الشكلى وإذاعة الفتاوى المتخلفة التى من شأنها أن تقف حائلاً أمام تقدم شعوب الأمة ويقظتها وزيادة وعيها بقضاياها المصيرية ، وهذا من قبيل الهزل فى وقت الجد ، ويعد جريمة فى حق الأمة .

ما العمل إذن ؟

وإذا كان هذا هو الحال فإن السؤال الذى يطرح نفسه فى هذا الصدد هو : ما العمل إذن ؟ وكيف يمكن للإعلام الدينى فى عالمنا العربى الإسلامى أن يواجه تحديات العصر ؟

إن الإعلام الدينى بأوضاعه الراهنة وبإمكاناته الحالية غير قادر على مواجهة تحديات العصر . وإذا أراد القائمون على هذا الإعلام أن يرتفعوا إلى مستوى التحديات فعليهم أن يجندوا كل إمكاناتهم لتجميع كل ما ينشر عن الإسلام من شبهات وما يوجه إليه من اتهامات ، ووضع ذلك كله أمام نخبة متميزة من علماء الإسلام المستنيرين للقيام بمهمتين أساسيتين فى وقت واحد ، وذلك على النحو التالى :

المهمة الأولى : تتمثل فى الرد على ما يثار ضد الإسلام من اتهامات ، والدفاع بأسلوب علمى عقلانى عن الإسلام ونبيه وتعاليمه . وهذه المهمة

وإن كانت تقع فى دائرة ردود الأفعال فإنها بالغة الأهمية لتوضيح الحقائق والرد على التساؤلات ، ولكن هذه المهمة تظل غير كافية فلا يجوز أن أنتظر حتى أتلقى اللطمة لأقوم بالرد عليها .

أما المهمة الثانية : فإنها مكملة للمهمة الأولى ولكنها تخرج عن نطاق ردود الأفعال وتتمثل فى اقتحام الميدان على نحو إيجابى ، وذلك بعرض حقائق الإسلام عرضاً موضوعياً ، وشرح تعاليمه شرحاً مستنيراً بعيداً عن العواطف والانفعالات ، يخاطب العقلية الغربية وغير الغربية بأسلوب يتفق مع ظروف العصر وما جَدَّ فيه من تطورات ، وما حدث فيه من طفرات هائلة فى جميع المجالات .

والإعلام الدينى ، الذى يمكن أن يكون وسيلتنا فى توصيل هذه الرسالة إلى العالم من حولنا وإلى داخل العالم الإسلامى فى الوقت نفسه ، يشمل الإعلام المكتوب والمسموع والمقروء ، هذا الإعلام ينبغى أن يتواصل مع العصر ويرقى إلى مستوى التحديات وبمختلف اللغات .

ولعله من المفيد جداً فى هذا الصدد أن يقوم الإعلام الدينى بعقد ندوات حوارية يشترك فيها علماء من المسلمين وغير المسلمين لمناقشة العديد من القضايا المشتركة ، وتذاع هذه الندوات أيضاً فى وسائل الإعلام المختلفة وبلغات عديدة .

وحتى لا نحمِّل الإعلام الدينى فى عالمنا الإسلامى أكثر مما تتحمله طاقته فإنه لابد أن تقوم مراكز البحوث الإسلامية بتزويده بما لديها من إنتاج علمى وزاد فكرى للاستعانة به فى أداء الدور الإعلامى المأمول .

ولكن الطريق إلى ذلك ليس بالأمر السهل . فهنا مشكلة قائمة لابد من التغلب عليها أولاً . وتكمن المشكلة فى انعدام التنسيق والتعاون والتكامل بين هذه المراكز البحثية من ناحية وبين الإعلام بصفة عامة ، والإعلام الدينى بصفة خاصة ، وفى مختلف البلدان الإسلامية والعربية من ناحية أخرى . فكلٌ يعمل بإمكاناته المحدودة فى جزر منعزلة .

ومن أجل ذلك نجد أن تأثير إعلامنا الدينى محدود جداً وضئيل للغاية ، وذلك فى الوقت الذى نجد فيه لدى عالمنا الإسلامى آليات عديدة نستطيع من خلالها الاتفاق على استراتيجيات وخطط للإعلام الدينى مثل منظمة المؤتمر الإسلامى ، وجامعة الدول العربية ، واتحاد الجامعات الإسلامية وغيرها من منظمات ومؤسسات . والمطلوب هو تفعيل دور هذه المؤسسات العديدة التى تستطيع أن تقدم الكثير . ولا شك أن هذا أمر يتطلب جهداً كبيراً ولكنه ليس بالأمر المستحيل . فالإرادة تصنع المعجزات . : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] .

٥ الحوار بين الأديان(*)

لقد ارتفعت فى الآونة الأخيرة نبرة الدعوة إلى الحوار بين الأديان ، وتم عقد مؤتمرات لهذا الغرض على المستوى الدولى ، واشترك فيها المئات من أتباع مختلف الأديان ، الأمر الذى يدل على تعاظم الشعور بضرورة الحوار بين الأديان من أجل التقارب بين الشعوب والتغلب على الكثير من المشكلات التى تهدد السلم والأمن فى العالم . وفى هذا الصدد يقول عالم الأديان الألمانى المعروف " هانز كونج" : " لن يكون هناك سلام فى العالم إذا لم يكن هناك سلام بين الأديان ، ولن يكون هناك سلام بين الأديان إذا لم يكن هناك حوار بين الأديان " .

ومن التجارب المهمة فى هذا المجال ما تقوم به جمهورية كازاخستان فى وسط آسيا . فهذه الدولة الفتية قد أخذت على عاتقها مهمة تنظيم مؤتمرات دولية للحوار بين أتباع الديانات السماوية والتقليدية على السواء من جميع أنحاء العالم ، وتقوم بعقد مؤتمر عام كل ثلاث سنوات وخلال هذه السنوات الثلاث البينية تقوم الأمانة العامة الدائمة بالإعداد لكل مؤتمر بحضور عدد محدود من ممثلى الأديان يلتقون مرة واحدة كل عام .

ويشارك فى هذه اللقاءات بصفة منتظمة مندوب من وزارة الأوقاف المصرية ومندوب من الأزهر الشريف . كما يشارك فى كل مؤتمر فضيلة

---

* نشر بصحيفة الأهرام فى ٢٠٠٨/٧/٣١م .

الإمام الأكبر شيخ الأزهر ووزير الأوقاف ، الأمر الذى يدل على مدى انفتاح المؤسسة الدينية فى مصر على كل الأديان السماوية وغير السماوية . وقد قامت كازاخستان بتشييد صرح كبير على شكل هرم يحتضن هذه المؤتمرات وأصبح مقراً دائماً للأمانة العامة للمؤتمر .

وعلى الرغم من كثرة المؤتمرات التى تُعقد فى مناطق مختلفة من العالم للحوار بين الأديان فإنه لا يوجد ـ للأسف الشديد ـ أى تنسيق بينها يضمن لأى منها النجاح المطلوب . والمشكلة التى تعانى منها هذه المؤتمرات أنه على الرغم مما يسود بين المشاركين فيها من تفاهم فإن محدودية النجاح تظل منحصرة بينهم فى القاعات المغلقة . ومن هنا تظل هذه الكثرة الكاثرة لهذه المؤتمرات فى إطار النخبة ، ولم تستطع حتى الآن أن تتحول إلى ثقافة للحوار يؤمن بها المواطنون من أتباع الديانات المختلفة فى البلاد التى تتبنى الحوار .

ولعلنا لو نظرنا إلى التصور الإسلامى فى هذا الصدد فإننا سنكتشف أن هناك عناصر على درجة كبيرة من الأهمية من شأنها أن ترسخ ثقافة الحوار بين الأديان . والمطلوب هو الكشف عنها والتعريف بها لأنها تشكل عنصراً أساسياً من عقيدة المسلم . فالحوار بين الأديان فى الإسلام قديم قِدَم الإسلام ذاته .

ومن المعلوم أن النبى عليه الصلاة والسلام كان أول من أجرى حواراً دينياً فى تاريخ الإسلام عندما استقبل وفد نصارى نجران فى مسجده بالمدينة المنورة . وقد انطلقت الدعوة إلى الحوار فى الأصل من القرآن الكريم فى

خطاب موجَّه إلى النبى عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

ولم يكتف القرآن بالدعوة إلى الحوار ، بل رسم منهج الحوار فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] . وقد حرص الإسلام على دعم أى حوار بين الأديان ينطلق من القواسم المشتركة التى تمثل المبادئ الأساسية التى يقوم عليها أى حوار يمكن أن يُكتب له النجاح ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٦٢] .

ولم يستثن القرآن من الحوار أتباع أى دين سماوى ، بل أضاف إليهم الصابئة ما داموا يؤمنون بالمبادئ الثلاثة المشار إليها . والإسلام إذ يركز على هذه المبادئ الأساسية دون غيرها فإنه لا يريد للحوار بين الأديان أن يغرق نفسه فى دوامة التفاصيل والقضايا الخلافية التى يدور حولها الجدل بين مختلف الأطراف .

وفضلاً عن ذلك فإن الإسلام يحرص على تمهيد السبيل لإنجاح أى حوار بين الأديان وذلك بتأكيده على الأصل الواحد للإنسانية على الرغم مما بين شعوبها من اختلاف فى العقائد والأعراف واللغات ؛ فقد جعل الإسلام من هذه الاختلافات منطلقاً للتعارف والتآلف والتعاون بين البشر:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وتأسيساً على ذلك كله فإن المسلم لا يجد حرجاً من منطلق عقيدته فى المشاركة الجادة فى الحوار بين الأديان بصفة عامة والمسيحية واليهودية بصفة خاصة . فالأديان السماوية الثلاثة تشترك كلها فى الأصل الإبراهيمى . ونحن المسلمين مأمورون من منطلق عقيدتنا بالإيمان بكل من موسى وعيسى عليهما السلام وما أنزل عليهما من وحى من عند الله . أما الأديان غير السماوية فنحن نتحاور معها من منطلق الأخوة الإنسانية ، فالناس جميعاً ينتسبون إلى آدم وحواء وهم بنص القرآن قد خُلِقوا من ﴿ نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ .

والبشرية اليوم فى أشد الحاجة أكثر من أى وقت مضى إلى لغة الحوار على جميع المستويات وليس على المستوى الدينى فقط ، وذلك على أساس من الاحترام المتبادل من أجل التوصل إلى الاتفاق على كلمة سواء تؤكد قبول الآخر واحترام خصوصياته الحضارية ، وتؤكد العيش المشترك والعمل معاً من أجل التغلب على ما يحيط بعالمنا من مشكلات تهدد وجوده مثل الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل وأزمة الغذاء العالمية والطاقة والأخطار التى تهدد البيئة والنزاعات العرقية فى مختلف دول العالم وغيرها من مشكلات مُلِحَّة لم تعد تحتمل التأخير ، وتتطلب ضرورة البحث عن أنجح السبل لحلها والقضاء على أسباب حدوثها .

ولا شك فى أن المؤسسات الدينية فى العالم تستطيع أن تقوم بدور فعال فى حل هذه المشكلات إذا تخلت عن النزعات الأنانية والتعصبات المذهبية والطائفية . والأمل معقود على ألا تتحول اللقاءات بين زعماء الأديان فى العالم إلى لون من ألوان التظاهرات الإعلامية أو شكل من أشكال العلاقات العامة ، الأمر الذى لا يتفق بأى حال من الأحوال مع المسئولية الكبرى التى ينبغى أن يتحملها زعماء الأديان نحو سلام هذا العالم واستقراره والذى هو عالمنا جميعاً .

obeikandl.com

٦ دور زعماء الأديان فى بناء التسامح والاحترام المتبادل والتعاون فيما بينهم(*)

إننا نعتقد اعتقاداً جازماً بأن رسالة الأديان جميعاً هى رسالة سلام . فلا يوجد دين فى أصل رسالته وجوهره يدعو إلى العنف أو الحرب أو العدوان أو التعصب أو الكراهية . فالناس جميعاً من أصل واحد لا فرق بين شعب وآخر وبين دين وآخر إلا بما يقدمه من خير للناس .

وحقيقة الأمر أن ما يبدو من تنافر أو تناقض بين الأديان إنما يأتى نتيجة لأحكام مسبقة وأفكار مغلوطة لدى كل طرف عن الأطراف الأخرى . وانتشار مثل هذه الأفكار الخاطئة من شأنه أن يؤدى إلى مواقف سلبية تجاه أتباع الأديان الأخرى . وقد أدى ذلك بالفعل فى فترات تاريخية مختلفة إلى نزاعات وحروب وعداوات .

ولكن الأمر فى عصرنا الحاضر قد أصبح مختلفاً تماماً عن العصور السابقة ، فنحن نعيش فى عصر تقاربت فيه المسافات ، وتشابكت المصالح ، وتعاظمت الأخطار المشتركة التى تهدد الجميع مثل تلويث البيئة وأسلحة الدمار الشامل والأزمات المالية والاقتصادية العالمية وانتشار الأمراض الفتاكة التى لم تكن معروفة من قبل والإرهاب والجريمة المنظمة وغير ذلك من أخطار

---

* كلمة ألقيت فى افتتاح المؤتمر الثالث لزعماء الأديان العالمية والتقليدية بمدينة أسطانا بجمهورية كازاخستان (١-٢/٧/٢٠٠٩م) .

تهدد أمن وسلام واستقرار البشرية جمعاء . وهذا كله من شأنه أن يشعر الجميع بضرورة التضامن معاً والتعاون من أجل درء الأخطار التى تواجهنا جميعاً .

وقد شبه النبى محمد البشرية كلها بركاب سفينة واحدة بعضهم فى أعلاها وبعضهم فى أسفلها . فكان الذين فى أسفل السفينة إذا احتاجوا إلى الماء صعدوا إلى أعلى السفينة . وبعد أن تعبوا من الصعود والهبوط وإزعاج الآخرين ، فكروا فى إحداث خرق فى أسفل السفينة يأخذون منه حاجتهم من الماء دون عناء . فلو تُرِك هؤلاء يفعلون ما يشاءون غرقت السفينة وغرق كل من فيها . ولذلك يجب منعهم من تحقيق ما يريدون ، وبذلك يتم إنقاذهم وإنقاذ بقية ركاب السفينة جميعاً .

وإذا أردنا أن ننقذ سفينة عالمنا من الأخطار التى تهددنا فإن ذلك يوجب علينا أن نتضامن جميعاً لمواجهة شتى الأخطار التى تهدد البشرية كلها . وهنا يأتى دور زعماء الأديان ومسئوليتهم المشتركة للوقوف صفاً واحداً فى وجه كل ما يهدد عالمنا من أخطار ظاهرة أو خفية .

ويتطلب ذلك بطبيعة الحال ضرورة اتفاق زعماء الأديان أولاً على كلمة سواء عن طريق الحوار الهادف والمسئول ، والاتفاق على القواسم المشتركة التى تجمع بين الأديان جميعاً ، والتى تشكل مجموعة من المباديء الإنسانية والأخلاقية التى لا يختلف عليها أحد . وهى المباديء التى من شأنها أن تغرس الثقة المتبادلة بين زعماء الأديان . وهذا أمر فى غاية الأهمية . فزعماء الأديان لهم فى نفوس أتباعهم احترام كبير وتقدير عظيم .

وما يقولونه لأتباعهم يلقى منهم فى العادة القبول والمصداقية . وبخاصة إذا كان ما يقولونه يتسم بالإيجابية . ولا شك فى أن ذلك له تأثير إيجابى على أتباع الأديان ، ومن شأنه أن يساعد فى تمهيد السبيل لإزالة ما يعترض سلامة العلاقات بين الأديان من عقبات .

وإذا كنا جميعاً نعترف بضرورة حماية حقوق الإنسان والدفاع عنها ضد أى انتهاك فإن من حقوق الإنسان الأساسية حقه فى اختيار العقيدة التى يدين بها . وإذا كان هذا حقاً لا يجادل فيه أحد فإن ذلك يدعونا إلى احترام هذا الحق لكل إنسان .

فكما أعطى لنفسى الحق فى أن يكون لى معتقدى الخاص فمن حق الآخرين أيضاً أن يكون لهم معتقداتهم الخاصة . ولا يجوز لأى طرف من الأطراف أن يدعى لنفسه أنه وحده الذى يملك الحق المطلق وأن غيره يقف فى الطرف المقابل الذى يتساوى مع الباطل .

وإذا استقر ذلك فى الأذهان استطعنا أن نصل إلى مستوى الاحترام المتبادل بين أتباع الأديان . وهذا يعنى أيضاً التسامح مع أتباع الأديان الأخرى . فالاحترام المتبادل والتسامح وجهان لعملة واحدة . والتسامح الذى نعنيه ليس تسامحاً حيادياً وإنما هو تسامح إيجابى لا يقبل بالآخر فحسب ، بل يحترم ثقافته وعقيدته وخصوصياته الحضارية .

ولا يجوز أن يُفهم الاحترام المتبادل والتسامح بين أتباع الأديان على أنه يعنى التنازل عن شيء من معتقدات أى دين لصالح دين آخر . فهذا أمر غير وارد إطلاقاً . وإنما المطلوب هو السعى الجاد نحو هدف مشترك يتمثل

فى بناء مجتمع يشعر فيه الجميع بالأمن والاستقرار ويتعايشون معاً فى سلام واطمئنان .

ومن شأن انتشار قيم الثقة والاحترام المتبادل والتسامح بين أتباع الأديان أن يقضى ذلك على الأحكام المسبقة ويصحح الأفكار الخاطئة لدى كل طرف عن الطرف الآخر . ويشجع ذلك بطبيعة الحال على تعرف أتباع كل دين على الأديان الأخرى على نحو موضوعى بعيد عن أى شكل من أشكال التعصب أو الكراهية . وبذلك ينفتح الطريق أمام التعاون بين الجميع فى كل ما من شأنه أن يعود بالخير على هذا العالم الذى نعيش فيه .

ومن الحقائق الماثلة أمام أعين الجميع أننا فى ظل ظروف الحياة المعاصرة قد أصبحنا أمام مصير واحد مشترك . فكل ما يصيب أى شعب من الشعوب يمتد إلى الشعوب الأخرى ويؤثر بشكل أو بآخر فى تقرير مصير عالمنا . والأزمة المالية والاقتصادية الحالية وما يسمى بمرض إنفلونزا الخنازير أبلغ دليل على ذلك.

ولن يتحقق ما ترجوه الشعوب من آمال إلا إذا كان هناك اقتناع لدى زعماء الأديان فى العالم بضرورة التعاون معاً من أجل ترسيخ قيم التسامح والاحترام المتبادل والتعاون بين أتباع الأديان جميعاً من أجل خير البشرية كلها . وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الاختلاف بين الأمم والشعوب لايجوز أن يكون منطلقاً للنزاع أو الشقاق فيما بينها ، وإنما ينبغى أن يكون منطلقاً للتعارف المثمر بينها جميعاً . وفى ذلك يقول القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وغنى عن البيان أن نشير إلى أن التعارف يعد الخطوة الأولى نحو التفاهم والتآلف والتعاون بين الأمم والشعوب والأديان من أجل خير الإنسان فى كل زمان ومكان .

وفى ختام كلمتى أود أن أشير إلى تجربة الاجتماعات الدورية العديدة فى أسطانا والتى ضمت ممثلى الأديان ـ الذين بذلوا جهوداً مشكورة للإعداد لهذا المؤتمر ـ واجتماعاتنا فى المؤتمرين السابقين وفى هذا المؤتمر قد أثبتت نجاحها فى إنشاء علاقات ودية وأخوية بين الجميع .

والمأمول أن يكون التركيز فى المرحلة القادمة على بحث أفضل الوسائل والآليات التى من خلالها يمكن نقل هذه الروح الطيبة السائدة بيننا جميعاً إلى أتباع الأديان فى كل مكان حتى يعم السلام بين جميع الشعوب فى هذا العالم الذى هو عالمنا جميعاً .